مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 02، جوان 2024، صص: 259 - 272
تاريخ الاستلام(2023/04/01)تاريخ القبول (2024/05/22)تاريخ النشر (2024/06/30)

النقد النفساني في نماذج من النقد الجزائري

Psychoanalytic Criticism in Models of Algerian Critique

زروقي معمر .
جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)،maamar.zerrouki@univ-saida.dz

ملخص:

تسعى هذه الدراسة العلمية إلى رصد بعض النماذج النقدية التي اشتغلت بالنقد النفساني تنظيرا وتطبيقا في الساحة النقدية الجزائرية، وإلى توصيف الخطاب النقدي المتراكم في ميدان المقاربة النفسانية. وهي بذلك تتوسل بإجراءات "نقد النقد" من أجل الوقوف على واقع هذه الممارسة في النقد الجزائري، وبهدف تقييم هذه التجربة من خلال معاينة طرائق تمثلها المنهجي والمفاهيمي، وكذا الكشف عن أبعادها العلمية المتحققة في تناول الظاهرة الأدبية.من هذا المنطلق تطرح هذه المقاربة التساؤلات الإشكالية الآتية:

-ما تجليات النقد النفساني في النقد الجزائري المعاصر؟

-ما طرائق تمثله المنهجية والإجرائية؟

-إلى أي مدى أسهمت هذه المقاربة النقدية في سبر أغوار النصوص الأدبية وتحليلها؟.

كلمات مفتاحية:النقد النفساني، علم النفس الأدبي، النقد الجزائري، نقد النقد، المنهج، علم المصطلح،

Summary:

This scientific study aims to examine certain critical models that have engaged in psychoanalytic criticism, both theoretically and practically, in the Algerian critical sphere. It seeks to describe the accumulated critical discourse in the field of psychoanalytic approach. Thus, it employs "critique of criticism" methods to assess the reality of this practice in Algerian criticism, intending to evaluate this experience by examining its methodological and conceptual representations, as well as revealing its scientific dimensions manifested in addressing the literary phenomenon

المؤلف المرسل: زروقي معمر ، **الإيميل:** zerrouki@univ-saida.dz. maamar

From this standpoint, the approach raises the following problematic questions:What are the manifestations of psychoanalytic criticism in contemporary Algerian criticism?What are the methodological and procedural ways of its representation?To what extent has this critical approach contributed to exploring the depths of literary texts and analyzing them?
Keywords: Psychoanalytic Criticism, Literary Psychology, Algerian Criticism, Critique of Criticism, Method, Terminology.

1 مقدمة: إذا كان فضل اجتراح مصطلح النقد النفساني **Psycho-critique** يعزى بالدرجة الأولى إلى الناقد الفرنسي "شارل مورون"**Charles Mauron** الذي استطاع أن يحقق لهذا التوجه النقدي انفصاله واستقلاليته عن علم النفس، وعن تلك التحليلات النفسية التي قدمها "سيغموند فرويد" **Sigmund Freud** رائد مدرسة التحليل النفسي؛ فإن انتقال هذا الاهتمام إلى الساحة النقدية الجزائرية كان انتقالا محتشما وباهتا، وبخطى متثاقلة جدا؛ إذ لم نعثر -وفي حدود اطلاعنا- إلا على بعض الدراسات القليلة والنادرة، وإن أصابها الوهن، وبدا علها الضعف والتعثر منهجيا ومصطلحيا، وذلك مقارنة ببعض البلدان العربية كمصر وسوريا ولبنان.

فقد كانت هذه البلدان أرضا طيبة، وميدانا ملائما لظهور أعلام بارزين، أكاديميين ومتخصصين، تجلتفي دراساتهم بواكير النقد النفساني وأولياته. ومن ذلك نذكر: دراسات طه حسين (مع أبي العلاء في سجنه)[2]، و(تجديد ذكرى أبي العلاء)[3]، و(مع المتنبي)[4]. ودراسات عباس محمود العقاد: (أبو نواس الحسن بن هانئ)[5]، و(ابن الرومي حياته من شعره)[6]. ودراسة "محمد خلف الله" الرائدة (من الوجهة النفسية في دراسة الأدب)[7]، ودراسة "حامد عبد القادر" (دراسات في علم النفس الأدبي)[8]، و"محمد النويهي" (نفسية أبي نواس)[9]، و(شخصية بشار)[10]،وأيضا دراسات كل من "مصطفى سويف" في دراسته الطريفة والمتميزة (الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة)[11]، و"عز الدين إسماعيل" في كتابه (التفسير النفسي للأدب)[12]. كما تجدر الإشارة أيضا إلى الناقد والمفكر السوري "جورج طرابيشي" الذي صدر له: (لعبة الحلم والواقع: دراسة في أدب توفيق الحكيم)[13]، و(عقدة أوديب في الرواية العربية)[14]، و(أنثى ضد الأنوثة: دراسة في أدب نوال السعداوي على ضوء التحليل النفسي)[15]، وكذلك الناقدين والأكاديميين المغربيين "حميد لحمداني الذي صدر له (النقد النفسي المعاصر، تَطْبيقاتُه في مجال السرد)[16]، و"حسن الموذن" الذي أصدر (الرواية والتحليل النصي: قراءات من منظور التحليل النفسي)[17]، وقام بترجمة كتاب "جون بيلمان نويل" (التحليل النفسي والأدب)[18]...وغيرها من الدراسات العربية في هذا الباب.

2-تلقي النقد النفساني في الجزائر:

يعودتأخر اهتمام الدرس النقدي الجزائري بالنقد النفساني إلى جملة من الأسباب والتداعيات، منها الاهتمام المتزايد لنقادنا بالنقد الاجتماعي واشتغالهم الكبير به في دراساتهم الأدبية وأبحاثهم العلمية والجامعية، ولا سيما في فترة السبعينيات، فترة المد الاشتراكي الذي تبنته البلاد بوصفه توجها فكريا ومرجعية سياسية، وهو ما اختفى في نطاقه الاشتغال بأدوات النقد النفساني، الذي لم يجد له موقعا في حقل الكتابة النقدية الجزائرية، بحيث لا يكاد الدارسيعثر على مقاربة تطبيقية جادة لهذا المنهج على نصوص الأدب الجزائري باستثناء بعض المحاولات التي اتجهت "بشكل مباشر إلى علم النفس أكثر من اتجاهها إلى النقد النفساني"[19]، فضلا عن انصراف الكثير من الباحثين والدارسين إلى الاشتغال بالمناهج النسقية وانبهارهم الشديد بالأدوات الإجرائية والإمكانات التحليلية التي وفرتها لهم البنوية والسيميائية والأسلوبية...وغيرها من المناهج والنظريات النقدية الأخرى، وهو أمر آخر زاد من تقليص دائرة الاهتمام بالنقد النفساني، وحدّمن انتشاره وذيوعه.

لكنه على الرغم من ذلك، ظهرت بعض الدراسات التي تعد على رؤوس الأصابع، نهض بها بعض الأكاديميين -دائما- في إطار إعدادهم لأبحاثهم ورسائلهم الجامعية. وهو ما سنسعى -في هذه الدراسة- من أجل التمثيل له ببعض النماذج والدراسات النقدية التي أعلنت عن ولائها المنهجي للنقد النفساني. كما أن القارئ الكريم قد يلاحظ تنوعا في الدراسات المنتقاة بين الدراسة النفسية للشعر والسرد وبين نقد النقد.

2-1-دراسة خيرالله عصارللشعرفي كتابه (مقدمة لعلم النفس الأدبي):

تعد هذه الدراسة من الدراسات الأولى المبكرة في نطاق هذا الاهتمام النقدي، وإن كانت تصنف في نطاق "علم النفس الأدبي" الذي يراهن عليه -كثيرا- صاحب هذا الكتاب في سبر أغوار نفوس الأدباء، وإدراك ما يختلج في أعماقهم ووجدانهم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يرى أن دمج هذا التخصص العلمي والمعرفي من شأنه أن يسهم في تطوير الدرس الأدبي والنقدي في الجامعة الجزائرية، وينهض بمستوى تفكير الطلبة والباحثين، وهو ما يفسر إهداءه الكتاب لطلاب الأدب واللغة العربية.

وفي هذا الصدد يقول: "فإذا كان الشعراء يفهمون عن الأشياء بصورة أعمق مما نفهمه نحن، فحري بنا أن نستعمل أدوات نفسية غير مألوفة تماما لفهم ما يجري في نفوسهم. لقد استطاع التحليل النفسي للشاعر أن يكشف مناطق غامضة في نفس الأديب لم يستطع أحد أن يجاريه بها. هكذا فالجامعة الجزائرية بإدخالها موضوع علم النفس الأدبي كجزء أساسي من

منهاج طلاب معهد اللغة والثقافة العربية، تفتح نافذة جديدة في تفكير طلاب المعهد ليدخل منها نور علمي جديد"[20]. وبهذا يكون الأستاذ المرحوم الباحث "خير الله عصار" من الأوائل الذين تفطنوا إلى مدى الإفادة من مفاهيم "علم النفس الأدبي" وتفعيل أدواته وإجراءاته التحليلية المستمدة في الأصل من التحليل النفسي، بهدف الارتقاء بحركة البحث العلمي الجامعي وتنشيطها، وتمكين الباحثين الجامعيين من بلوغ مناطق ظل في النصوص الإبداعية ظلت معتمة منذ أمد بعيد. لذلك تبقى هذه الدراسة ذات أهمية بالغة بالنظر للمدة الزمنية التي ظهرت فيها، وبالنظر كذلك لحداثة عهد النقد الجزائري بهذا النوع من المعرفة الجديدة والوافدة.

يتحدد هدف هذه الدراسة لدى الأستاذ "خير الله عصار" في ازدواجية محورية، كما يؤكد ذلك قائلا: "أولا، نروم من وراء ذلك إعطاء مثل أدبي حول الآلية، ثانيا، نروم أن نبين ماذا جرى في نفس الشاعر من خلال ربط المعنى النفسي لأبيات الشعر مع الآلية المناسبة. هذا يعني أننا لم نجر محاولة لتحليل شخصية الأديب كما فعل فرويد عندما حلل شخصية ليونارد دافنشي أو كما فعل محمد النويهي لدى تحليله لشخصية بشار. ذلك لأننا نعتبر أن تحليل مجمل الشخصية يتطلب مجالا أوسع واستعدادا أوفى. ففي رأينا أن كل ما يتضمنه هذا الكتاب لا يشكل إلا عناصر أولية تمهد لتحليل الشخصية وربط العمليات الإبداعية مع مشاكلها واضطراباتها وقيمها"[21]. فمن هذا المنطلق يعلن الباحث عن توجهه في هذه الدراسة وهو التركيز على شخصية المبدع أكثر من تركيزه على النص الإبداعي، ولعل ذلك ما يؤخذ على هذا النوع من الدراسات لأنها تجعل من نص الأديب مجرد "وثيقة نفسية تدينه وتكشف عن بعض عقده وأمراضه النفسية"[22]. وبمعنى آخر أن هدف الدراسة ليس الأدب في حد ذاته، وإنما شخصية الأديب؛ أي إن النص الأدبي يعد وسيلة لا غير، تؤكد صحة الفرضيات التي توصل إليها الباحث بخصوص الشخصية المدروسة.

تقوم الدراسة على مهاد نظري مطول، استحوذ على حيز كبير من فصولها الستة، تناول من خلاله الباحث مفهوم علم النفس الأدبي وموضوعه وفوائده، وأسس تفسير الإبداع من منظور أقطاب التحليل النفسي (فرويد، يونغ، وبرغسون)، ومن خلال بعض الآليات والمفاهيم النفسية نذكر منها: العدوان، الصراع النفسي، التسامي، الإحباط، النكوص، النرجسية، السادية، الماسوخية أو المازوشية، والعقدة أو المركب النفسي...إلخ.

حاول الباحث في المستوى التطبيقي اختبار هذه المفاهيم بإجرائها على نصوص شعرية متنوعة أجنبية وعربية، ومنها أيضا بعض المقاطع الشعرية انتقاها –حسب حاجة الدراسة-

من نصوص لشعراء جزائريين هم "عبد الله شريط" في ديوانه "الرماد"، و"محمد الأخضر عبد القادر السائحي" في ديوانه "ألوان من الجزائر" والشاعر "أزراج عمر" في ديوانه (وحرسني الظل). وسنمثل لذلك بتحليله بعض المقطوعات الشعرية الجزائرية من خلال تأكيده على حضور بعض السلوكات والمشاعر فيها، كحضور الاغتراب والإحباط في أبيات "عبد الله شريط" في أثناء التواجد الاستدماري في الجزائر:

كذاك نعيش يا وطني كأنا خنافس لاهيات في التراب
غريب حيثما أمشي طريد وفي عيني ذلتي وانتحابي
وكل بنيك منبوذون مثلي وكل بنيك مثلي في اغترابي[23]

وكحضور مفهوم السادية في شعر "محمد الأخضر السائحي" الذي يستدل على وصفه لسادية المستدمرين في مقطع من قصيدته (إلى الطغاة والخائنين):

وسيموا الناس خسفا، ولا تبالوا كبارهم ولا ضعف صغارهم
وميلوا بالأيامى نائحات ومروا بالثكالى باحتقار
ودوسوا العاجزين بلا احترام ودوسوا المجرمين بكل دار[24]

وعن مرض العصاب يستدل بشخصية الشاعر "أزراج عمر" من خلال قصيدته (عرس) التي يقول فيها:

تزوجت كهفا فأنجبت ظلمة
تزوجت همًّافأنجبت قرحة
تزوجت ذاتي فأنجبت غربة
تزوجت بحرا فأنجبت غيمة
تزوجت كل الأغانيفأنجبت ذلة
وحين تزوجت تربة ولدنا السنابل
وأقسمت من يومهاأن أظل وفيا لها[25].

ينطلق الباحث "خير الله عصار" من أن هذه القصيدة عبارة عن تخيلات تدور حول موضوع الزواج، والشاعر في نظره شخص مريض، يعيش حالة من الكبت والهذيان والعصاب. لكنه انطلاقا من عقله الواعي يتمكن من تشذيبها وتهذيبها وتحسينها إلى أن وصلت القصيدة إلى شكلها النهائي الذي هي عليه.

ولعل حالة الكبت التي يعيشها الشاعر تتحدد في كبت رغباته الجنسية التي لا تتحقق إلا من خلال الزواج الذي يعترف به المجتمع، ثم إن تكرار مفردتي تزوجت وأنجبت بهذا الشكل

اللافت يدل على صورة لحالة توالد التخيلات والهموم والوساوس والرغبات الجنسية التي تراود مخيلة الشاعر،وبهذا فنهايتها وتخلصه منها لا يكون إلا بالزواج من امرأة وإنجاب الأطفال. فإذا كانت مفردات الكهف والظلمة والهم والذات، تعبر مجتمعة عن عزلة الشاعر وزهده في النساء، فإن التربة في التحليل النفسي ترمز إلى رحم المرأة والسنابل ترمز للأطفال، بمعنى أنه بمجرد زواجه وتلبية رغباته الجنسية زالت همومه ووساوسه وتغيرت حالته النفسية واستقرت مما دفعه إلى القسم بأن يظل وفيا للتربة(المرأة)[26]، لأنها خففت عنه آلامه وغيرت من مجرى حياته عن طريق الزواج الذي جعله ديننا الحنيف مصدرا للسكينة والحياة النفسية الهادئة.

2-2-دراسة سليم بوفنداسة للرواية في بحثه (عقدة أوديب في روايات رشيد بوجدرة):

في كتابه "النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية" يشير الباحث "يوسف وغليسي" إلى دراسة نقدية نفسانية مهمة هي للباحث "سليم بوفنداسة" المعنونة ب: "عقدة أوديب في روايات رشيد بوجدرة دراسة تحليلية"، التي تعد في الأصل مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس من معهد علم النفس بجامعة قسنطينة، وهي المحاولة التي يصفها وغليسي" بأنها "أول ممارسة تستحق الذكر والمناقشة...وأنها الأولى من نوعها في الجزائر، ولن تقوم للنقد النفساني قائمة عندنا إلا بطبع مثل هذه المحاولة الجادة"[27]. وقد قسمها صاحبها إلى قسمين الأول نظري والثاني تطبيقي.

يتكون القسم الأول من ثلاثة فصول:

-عقد أوديب.

-خصوصيات الشخصية المغاربية والأوديب المغاربي.

-سيكولوجية الفنان

أما القسم الثاني فيتكون من أربعة فصول:

-تعريف منهج تحليل المحتوى.

-تحديد الفئات.

-وضع الفئات في إطارها العلائقي.

-التفسير (خاص وعام)[28].

ويقف وغليسي ابتداء عند التساؤل الذي طرحه الباحث "سليم بوفنداسة" بخصوص السر الذي يقف وراء اختياره روايات رشيد بوجدرة، "ويجيب بأن بوجدرة ليس فقط أكثر الأدباء الجزائريين إنتاجا وترجمة (11 رواية مترجمة إلى 19 لغة كاملة)، وإنما هو ظاهرة في

المجتمع الجزائري لما تثيره رواياته وتصريحاته من حساسيات وردود أفعال عدائية، وهو روائي مشاكس، ومتمرد دوما على (طابوية) المجتمع، مما يستدعي -حقا- التنقيب عن الخلفية النفسية لهذا التمرد، ولأن في تصريحاته قرائن ثمينة تستفيد منها أي دراسة نفسية"[29]. وبالفعل قد وفق الباحث في اختيار النموذج المدروس لأنه يصلح نموذجا للدراسة النفسية، فبوجدرة قد عودنا بخرجاته وشطحاته التي أصبحت تثير كثيرا من الجدل، لكنها في ميدان علم النفس يمكن تفسيرها وتبريرها بحالة مرضية ونفسية لها خلفياتها وتداعياتها لدى الروائي.

انطلاقا من وغليسي –دائما- يجد بوفنداسة المبررات لهذه الحالة النفسية المتمثلةفي العقدة الأوديبية التي يعاني منها بوجدرة في رواياته الأربع المتمثلة في روايات: الإنكار، الرعن، المرث، فوضى الأشياء، دون أن يلتفت إلى روايته الأخرى "ليليات امرأة آرق" التي خصها الباحث "خالد بن شعيب" بدراسة مستقلة في كتابه (رواية ليليات امرأة آرق في ضوء التحليل النفسي)[30]. وبذلك فهو يرى أن الروايات الأربع المدروسة "أكثر التصاقا بحياة الكاتب، إن لم تكن سيرة ذاتية (بيوغرافيا) تفضح علاقته العائلية، لا سيما علاقته بالأب الذي يعبر في كل المناسبات عن كراهيته له"[31]. ويستدل بوفنداسة على ذلك بأقوال بوجدرة نفسه، وبتصريحاته، من قبيل:

-عقدة الأب باقية عندي إلى الآن.

-كراهية للأب أخذت طابعا مرضيا.

-أول رواية كتبتها كانت حول قصة أمي المرأة المطلقة المهجورة المغدورة[32].

ينتهي الباحث سليم بوفنداسة إلى توكيد الفرضيات التي انطلق منها وإلى إثبات إصابة بوجدرة بمرض العقدة الأوديبية بكل الأدلة المتاحة له من قبل روايات بوجدرة، فهو شخص مصاب بمرض العصاب، الناتج عن عقد وترسبات نفسية حملتها ذاكرته الطفولية التي جعلته من أجل التضامن مع أمه المطلقة والمهمشة يتمرد على قوانين المجتمع والدين والسلطة ويناقض أباه البرجوازي المتدين إلى درجة اعتناقه الشيوعية الملحدة والحلم بقتل أبيه والانتقام منه، لأنه يمثل بالنسبة إليه مصدرا لكل أنواع الشر والمعاناة، والأكثر من ذلك يذهب إلى تفسير انتقال بوجدرة إلى الكتابة بالعربية -بعدما جرب الكتابة باللغة الفرنسية- بحنينه إلى الأم[33] وشدة تعلقه بها. وربما يجد هذا التفسير الذي يرجع عملية الإبداع إلى نواة واحدة، تشكل منطلقا محوريا لجميع أعمال الكاتب مسوغاته في أبحاث الناقد الموضوعاتي "جون بول ويبر" الذي يرى أن "كل آفاق العمل الأدبي...تعود في منطلقها إلى منبع واحد، هو الموضوع، الذي هو بدوره أثر واع أو غير واع لحادث مميز، يكون قد أحدث صدمة نفسية أو تأثيرا عميقا في

طفولة الفنان. هذا الموضوع في نظرنا، سواء كان تحت رموز متنوعة أو تعديلات، فهو موجود عبر نسبة كبيرة من الأعمال الإبداعية للفنان"[34]. وهذا يعني أن بوجدرة يصدر في كل أعماله عن منطلق واحد يمتد إلى مرحلته الطفولية التي ميزها القلق والتوتر ومواقفه العدائية لوالده في مقابل إشفاقه على أمه وتضامنه الشديد معها.

3-2-مقاربة أحمد حيدوش في نقد النقد (الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث):

إذا كانت الدراستان السابقتان قد تميزتا بطبيعتهما التطبيقية والإجرائية لأدوات النقد النفساني على الإبداع الأدبي؛ فإن هذه الدراسة قد يممت وجهتها صوب متابعة المتون النقدية النفسانية العربية بهدف توصيفها ومناقشتها وتقويمها في نطاق ما بات يعرف بنقد النقد، الذي يعد في نظر الدارس "أحمد حيدوش" من أوكد المهمات التي لا تقل أهمية عن العملية النقدية في حد ذاتها. إذ يقول: "...وإذا كانت إحدى مهمات النقد مواكبة الأثر الفني فإن مواكبة النقد للنقد لا تقل أهمية هذه المهمة. ذلك أن الأدب يحيا ويزدهر إذا واكبه النقد بالتقويم، كما أن هذا الأخير يحيا كذلك بالنقد والتقويم فحينما نتناول الأعمال الأدبية بالنقد لا ريب في أن من بين الأشياء التي نبحث عنها في تلك الأعمال ما يتمثل في اكتشاف عناصر الخلود والاستمرارية التي تتضمنها تلك الأعمال. وحين ننقد النقد فإنه مما لا شك فيه أننا نبحث من خلال ذلك عن عناصر صالحة لفهم التجربة الأدبية فهما صحيحا ودعم النقد الأدبي وإغنائه بدراسات مساعدة ومن هنا تأتي أهمية النقد الذي يتجه إلى الأعمال النقدية بالتأمل والحكم والتوجيه والتقويم"[35].

من هذا المنطلق يتناول "حيدوش" حضور الاتجاه النفسي في النقد العربي. ومن هنا "تأتي أهمية دراسة هذا الاتجاه لكونه منفذا يحدد بعض سمات النقد العربي الحديث من جهة ويكشف عن أهمية استخدام المعرفة العلمية في النقد الأدبي وأخطارها من جهة ثانية"[36]. ذلك لأن الدراسات السابقة -في نظر حيدوش- جانبت الخوض في مسألة التقويم النقدي والموضوعي للتراكم النقدي المتحقق في ظل هذا التوجه النقدي، من خلال التركيز على مختلف مكوناته العلمية ومرجعياته المعرفية التي بنى عليها النقاد النفسانيون آراءهم التحليلية وتصوراتهم النقدية.

يبني حيدوش دراسته على أرضية نظرية صلبة هي بمثابة تمهيد حدد من خلاله الأسس والمقومات التي نهض بها الاتجاه النفسي واشتد عوده واستقام عليها، ويأتي في مقدمتها الإرث الفرويدي الذي شكل مدرسة في التحليل النفسي التي انبثق عنها التوجه النفساني في نقد الأدب، بدأ مع فرويد الذي استثمر مفاهيم علم النفس في دراسة الآثار الإبداعية والأدبية، ثم

استمر هذا التأسيس مع شارل مورون الذي أكد على العلاقة المتينة بين علم النفس والنقد الأدبي، فعمل على الجمع بينهما تحت مسمى واحد هو (النقد النفساني)ولأول مرة؛ لتكتمل أكثر وتتسع دائرة البحث في الاتجاه النفسي في النقد الأدبي على يد "كارل غوستاف يونغ" أحد أبرز تلاميذ "فرويد"، الذي انفصل عن أستاذه انطلاقا من دعوته إلى نظريته في اللاوعي الجمعي، أو ما سمي بعلم النفس التحليلي المخالف للتحليل النفسي عند فرويد، حيث تقوم نظرية اللاوعي الجمعي على أربعة نماذج هي: (الشخصية، الروح، الظل، والنفس). لكن الملاحظ على هذا التمهيد النظري هو أن صاحبه لم ينفتح على باقي مدارس علم النفس الأخرى معللا ذلك بقوله إن: "مضمون النقد في الاتجاه النفسي عندنا فرض الصورة النهائية لهذا التمهيد"[37]. ومعنى ذلك بكل بساطة أنه يبحث عن آثار المفاهيم النفسية وتجلياتها في مجال النقد الأدبي، أو بالأحرى في توجهات النقاد العرب محل الدراسة.

ينتقل اهتمامه في الفصل الأول إلى الحديث عن نشأة الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث التي تعود إلى الأصول الرومانتيكية، وإلى انفتاح دارس الأدب على العلم والمناهج وحاجته الملحة إلى التفسير العلمي للأدب، وكذا الأصول التراثية المتوفرة على بعض الإرهاصات والروافد النفسية في البلاغة والنقد العربيين في محاولة لتأصيل هذا الاتجاه في النقد العربي الحديث.

أما الفصل الثاني التطبيقي الموسوم (شاعران بين ناقدين) فخصصه لمدارسة متنين نقديين إجرائيين الأول للعقاد عن ابن الرومي وأبي نواس، والثاني للنويهي عن الشاعرين كذلك، وقد حاول من خلال ذلك أن يجيب عن بعض التساؤلات من قبيل: هل كانت شخصية ابن الرومي على ما وصفتها الدراستان؟ وما سر اختلاف النتيجة التي انتهى إليها كل من النويهي والعقاد في دراستيهما عن أبي نواس. على الرغم من اعتمادهما على أسس علم النفس؟[38]. وبهذا فقد انتهى حيدوش إلى أن العقاد مثلا قد وقع في التناقض وعدم الثبات والاستقرار على رأي واحد لدى تحليله لشخصية ابن الرومي، وذلك حينما فسر عبقريته بالمرض والجنون، وحينما ربط الطيرة عنده بخلل في الأعصاب، فكل ذلك مردود ومشكوك في نتائجه عند حيدوش.

وحين مناقشته الصورة الفيزيولوجية والنفسية التي رسمها العقاد لابن الرومي من خلال شعره وأخباره، يتساءل حيدوش منكرا :"...ما الذي قدمه العقاد بهذه الصورة للنقد الأدبي عامة، ولفهم التجربة الشعرية عند ابن الرومي خاصة؟ أفلا نتفق على جواب واحد هو أن العقاد قد أتعب نفسه وأجهدها بالبحث عن هذه الصورة إرضاء لفضوله ونزعته الكامنة فيه التواقة دوما إلى بعث الحياة والحركة في الشخصيات القديمة وجعلها تحيا معنا، قد

نتفق، ولكن العقاد سرعان ما يواجهنا ويجعلنا نختلف، فيرى فينا من يرى أن العقاد استخرج هذه الصورة ليجعلها معينا له على رسم صورة أخرى لابن الرومي، وهي المقصد والمسعى، وهذه الصورة هي الصورة النفسية"[39].

وأما بشأن دراسة النويهي لأبي نواس، يرى الباحث أن النويهي وقع في فخ الأحكام الجاهزة والمحددة سلفا؛ أي إنه أراد إثبات المقولات النفسية والتدليل عليها من شعر أبي نواس، كعقدة شذوذه التي يردها إلى عقدة نفسية تكونت له منذ طفولته بسبب موت والده وتعلق والدته برجل غريب حرمه حنانها، وكعقدته الأوديبية التي جعلته يفسرها بوصفه الشديد للخمرة وتغنيه بها إلى درجة اقترانها عنده بالعبادة، أو إلى درجة كونها معشوقة، والأكثر من ذلك يفسرها النويهي بعلاقة الولد بأمه، وهو ما يؤكد مرة أخرى –مع حيدوش- مسعى النويهي في تأكيد فرضياته وأحكامه السابقة. لذلك نجده يتساءل مرة أخرى:"...ألا يمكن القول بأن جنانا هي الرمز الذي يظهر بإلحاح في خمرياته وليست الأم؟ ألا يغرينا اتخاذ رمز جنان منطلقا لفهم شعر أبي نواس عامة وخمرياته خاصة، ومن ثم فهم نفسيته؟"[40].

إذا كان حيدوش على جانب كبير من المنطق والواقعية في آرائه وتساؤلاته لدى مساءلته لتجربتي العقاد والنويهي؛ فإن القارئ لدراسته قد يشعر وكأنه بصدد محاكمتهما، فهو يُخَطِئ ويسفه ويدحض الكثير من النتائج التي توصلا إليها انطلاقا من استثمارهما المعرفة العلمية النفسية التي تعد في الأصل معرفة نسبية ولا يمكن الوثوق في نتائجها بالكلية. وقد كان بإمكانه أن يبتعد عن إصدار أحكام من قبيل (إن هذا الفهم غير الصائب)، (من هنا نؤكد خطأ النويهي)، (إن النويهي يجانب الصواب كثيرا)، (وهذا كله يدفعنا إلى الشك فيما ذهب إليه العقاد)...إلخ. ذلك لأن مثل هذه الأحكام ليست من مهمات البحث العلمي والنقدي الرصين. ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه هو تقصده اختيار العقاد والنويهي نموذجين للدراسة في مقابل نماذج نقدية كثيرة هي على درجة كبيرة من الوعي والعمق بالممارسة النقدية النفسانية بما يجعلها أهلا للإشادة والتنويه مثل عز الدين إسماعيل، وجورج طرابيشي ومصطفى سويف...وغيرهم. غير أنه على الرغم من ذلك تبقى هذه الدراسة الجزائرية وثيقة مهمة في التعريف بالاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ولدى بعض أعلامه البارزين، إذا ما نظرنا إلى تاريخ صدورها، وبالنظر إلى شح الدراسات النقدية النفسانية في الجزائر، ولا سيما في حقل نقد النقد.

خاتمة:

تجدر الإشارة ههنا إلى أن اختيارنا هذه النماذج السابقة دون غيرها، لم يكن أمرا اعتباطيا وليد الصدفة، أو من باب الإقصاء والتنكر للجهود التي راكمها خطاب النقد النفساني في الجزائر، وإنما كان ذلك على أساس منهجي ومنطقي واضح، وهو أن الدراسة تتوزع على ثلاثة محاور (دراسة الشعر، دراسة السرد، ونقد النقد)، وهو ما من شأنه أن يقود إلى امتلاك تصور عام لطرائق اشتغال الاتجاه النفساني في النقد الجزائري، تنظيرا وتطبيقا، فضلا عن إمكان فتح المجال لتقييم هذه التجربة عربيا، وتعميم هذا الاشتغال ليتناول نماذج نقدية أخرى ليس فقط في مجال النقد النفساني، بل في جميع ميادين التعاطي مع المعرفة النقدية الوافدة.

كما يمكن التنويه في الأخير ببعض الدراسات النفسانيةالجزائريةالتي لم يسمح المقام ببسطها جميعا، على أمل أن تشكل موضوعا لدراسة أخرى في المستقبل، نذكر منها: دراسة "عبد القادر فيدوح"(الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي)[41]، وأطروحة "عبد الله بن حلي"(الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي)[42]، ودراسة عائشة بنور (قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية)[43]، ودراسة "محمد مسباعي" (التحليل النفسي للرواية، نجيب محفوظ نموذجا)[44]...وغيرها من الدراسات الأخرى التي ما تزال بعضها حبيسة رفوف المكتبات الجامعية. وعلى الرغم من ذلك تبقى الدراسات المهتمة بالنقد النفساني في النقد الجزائري قليلة وشحيحة جدا مقارنة بالإقبال الكبير الذي شهدته الساحة النقدية الجزائرية على المناهج النقدية السياقية الأخرى كالمنهج الاجتماعي، والمناهج النقدية النسقية كالمنهج السميائي على وجه الخصوص.

مراجع البحث وإحالاته:

1- محمد العياشي كنوني ، شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية)، عالم الكتب الحديث، اربد - الأردن، ط1، 1431- 2010م، ص03.

2 طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.

3 طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.

4 طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

5 عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

6 عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط5، 1963.

7 محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.

8 حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، لجنة البيان العربي، المطبعة النموذجية، القاهرة، دط، 1949.

9 محمد النويهي، نفسية أبي نواس، دار الفكر ، بيروت، ط2، د ت.

10 محمد النويهي، شخصية بشار، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط1، 1951.

11 مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، ط4، مزيدة ومنقحة، 1981.

12 عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط4.

13 جورج طرابيشي،لعبة الحلم والواقع دراسة في أدب توفيق الحكيم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1972.

14 جورج طرابيشي، عقد أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

15 جورج طرابيشي، أنثى ضد الأنوثة دراسة في أدب نوال السعداوي على ضوء التحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

16 حميد لحمداني، النقد النفسي المعاصر، تَطْبيقاتُه في مجال السرد، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

17 حسن الموذن، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

18 جون بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن الموذن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مصر، 1997.

19 يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002، ص 84.

20 خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 12، 13.

21 المرجع نفسه، ص 14.

22 شريف بموسى عبد القادر، المنهج النفسي وغيابه في النقد الجزائري الحديث، أعمال الملتقى العلمي لدراسة إشكالية المنهج في النقد الأدبي الجزائري الحديث، المنعقد في 05/ 06 ديسمبر 1999، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، ص. 112.

23 ينظر، خير الله عصار، المرجع السابق، ص 89.

24 ينظر، المرجع نفسه، ص 106، 107.

25 ينظر، المرجع نفسه، ص 112.

26 شريف بموسى عبد القادر، المرجع السابق، ص 113، 114.

27 يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 84، 89.

28 ينظر، المرجع نفسه، ص 86.

29 المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

30 خالد بن شعيب، رواية ليليات امرأة آرق في ضوء التحليل النفسي، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2010.

31 سليم بوفنداسة، عقدة أوديب في روايات رشيد بوجدرة، مذكرة ليسانس، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة قسنطينة، 1983، ص. 37. نقلا عن يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 87.

32 ينظر، يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 87.

33 ينظر، المرجع نفسه، ص 87، 88

34 محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، أسسه وإجراءاته، دار التنوير،الجزائر، 2020، ص 120.

35 أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 5.

36 المرجع نفسه، ص 06 .

37 المرجع نفسه، ص 07.

38 المرجع نفسه، ص 07 .

39 المرجع نفسه، ص 93.

40 المرجع نفسه، ص 119 .

41 عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1993.

42 عبد الله بن حلي، الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، 1988، 1989.

43 عائشة بنور، قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية، رؤى وانطباعات، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007.

44 محمد مسباعي، التحليل النفسي للرواية، نجيب محفوظ نموذجا، دار هومه، الجزائر، 2009.

-مراجع البحث

1-أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

2-جورج طرابيشي،لعبة الحلم والواقع دراسة في أدب توفيق الحكيم، دار الطليعة، بيروت،لبنان، ط1، 1972.

3-جورج طرابيشي، عقد أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

4-جورج طرابيشي، أنثى ضد الأنوثة دراسة في أدب نوال السعداوي على ضوء التحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1995.

5-جون بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، مصر، 1997.

6-حسن المودن، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

7-حميد لحمداني، النقد النفسي المعاصر، تَطْبيقاتُه في مجال السرد، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

8-حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، لجنة البيان العربي، المطبعة النموذجية، القاهرة، دط، 1949.

9-خالد بن شعيب، رواية ليليات امرأة آرق في ضوء التحليل النفسي، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2010.

10-خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

11-طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.

12-طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014.

13-طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

14-سليم بوفنداسة، عقدة أوديب في روايات رشيد بوجدرة، مذكرة ليسانس، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة قسنطينة، 1983.

15-شريف بموسى عبد القادر، المنهج النفسي وغيابه في النقد الجزائري الحديث، أعمال الملتقى العلمي لدراسة إشكالية المنهج في النقد الأدبي الجزائري الحديث، المنعقد في 05/ 06 ديسمبر 1999، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة.

16-عائشة بنور، قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية، رؤى وانطباعات، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007.

17-عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013.

18-عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط5، 1963.

19-عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1993.

20-عبد الله بن حلي، الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، 1988، 1989.

21-عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط4 .

22-محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.

23-محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي، أسسه وإجراءاته، دار التنوير، الجزائر، 2020.

24-محمد مسباعي، التحليل النفسي للرواية، نجيب محفوظ نموذجا، دار هومه، الجزائر، 2009.

25-محمد النويهي، نفسية أبي نواس، دار الفكر ، بيروت، ط2، د ت.

26-محمد النويهي، شخصية بشار، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط1، 1951.

27-مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، ط4، مزيدة ومنقحة، 1981.

28-يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002.